دور نهضوي في سيرة صحفية

سميح شبيب، **محمد علي الطاهر: تجربته الصحفية في مصر، من خلال صحفه «الشورى» و«الشباب» و«العلم»، ١٩٣٤ ـ ١٩٣٩**، نيقوسيا: الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين وشرق برس، ١٩٩٠، ٣٤٤ صفحة.

أشقّ مهام الباحث الفلسطيني وأشدّها تعقّداً الحصول على الوثائق المتعلقة ببحثه، بالنظر الى حالة الشتات وما فرضته من غياب المؤسسات الفكرية والاعلامية المستقرة، وافتقارها، في حال وجودها، الى الوثائق الشاملة لمطبوعات الماضي، التي يمكن للباحث العودة اليها واستقراء حوادث تلك الأزمنة من خلالها. غياب التوثيق، بمعناه العلمي الحديث والشامل، يحجب كثيراً من تفاصيل صورة الوضع الذي كان سائداً، ويحجب، بالضرورة، أدواراً لعبها رجال ومؤسسات وقوى سياسية بهذا القدر، أو ذاك، ويدفع الى مواصلة جهود ليست بالهيّنة في ظروف صعبة، لنفض الغبار عن تلك الايام الخوالي، من خلال تجميع وثائق، وصحف، ومنشورات، تتبعثر بين هذه العاصمة، أو تلك، لأنها مرآة الزمان وكتابه المفتوح.

«الشورى»، و«الشباب»، و«العلم»، صحف أصدرها الصحفي الفلسطيني المرحوم محمد علي الطاهر بدءاً من العام ١٩٢٤ وحتى العام ١٩٣٩. أي انها تغطّي، بالضبط، فترة من أخصب فترات التاريخ الفلسطيني الحديث عشية اكتمال الهجمة التي انتهت صبيحة الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨ بتشريد شعب فلسطين واقامة دولة اسرائيل، منهية بذلك مرحلة ستكون عنواناً بارزاً ليس في تاريخ فلسطين فحسب، بل في تاريخ المنطقة العربية والشرق الاوسط على وجه العموم. والأساس في الصحف الثلاث، التي أصدرها الطاهر، هي جريدته «الشورى» التي بدأ حياته الصحفية في مصر بها، في العام ١٩٢٤. ولا نبالغ في القول حين نؤكد ان الصحيفتين الأخريين «الشباب» و«العلم» إنْ هما الّا الاسم البديل الذي اختاره الطاهر لـ «الشورى» من اجل التحايل على قرار ايقاف «الشورى» من قبل السلطات. فـ «الشورى» واصلت مشوار جهادها، ولعبت دورها ذاته، من خلال شقيقتيها «الشباب» و«العلم»، وهذه وسيلة لجأ اليها، ولا يزال يلجأ اليها، العديد من الجهات والاشخاص في ظروف اضطراب الحياة الديمقراطية، وتسلّط سيف الرقيب على الصحف والمنشورات.

اصدار «الشورى»، في العام ١٩٢٤، جاء تتويجاً لنشاطات سياسية مارسها الطاهر في مصر قبل ذلك بسنوات قليلة. فقد عمل «على تأليف اللجنة الفلسطينية سنة ١٩٢١ بصورة قانونية، لتسهيل الامور المتعلقة بالشؤون الفلسطينية». ومن خلال هذه اللجنة، أقام الطاهر علاقات وثيقة مع عدد من رجالات مصر الوطنيين، من أمثال الدكتور محمد حسين هيكل، الذي كان يتولّى رئاسة تحرير جريدة «السياسة». وفي سياق هذا النشاط، أراد الطاهر ان تكون جريدته معبّرة عن أفكاره التحررية الفلسطينية خصوصاً، والعربية على وجه العموم، فوصفها بأنها «جريدة تبحث في شؤون البلاد العربية والاقطار المستعبَدة»، وجعل من هذه العبارة شعاراً مكتوباً تحت اسمها. وهكذا، وبسبب من سياستها هذه، منعت «الشورى» من دخول معظم الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار، وبخاصة فلسطين وسوريا ولبنان، وصودرت أعدادها، واضطر الطاهر الى اغلاقها سنة ١٩٣١، واصدارها بأسماء أخرى منها «الرقيب» و«المنهاج» و«الناس» و«الجديد» و«الشباب» و«العلم المصري».

هذا النشاط الصحفي الذي تواصل بعد ذلك حتى العام ١٩٣٩ تخلّلته نشاطات سياسية، لعلّ أبرزها، في تلك الفترة، مساهمة الطاهر في الاعداد للمؤتمر الاسلامي العام، الذي عقد في القدس سنة ١٩٣١، والذي